

[٤٨] الذكورة - الأنوثة

المفهوم: ربما يتبادر في الأذهان سؤال بماهية الأسباب التي تؤدي إلى إحداث الفروق بين الجنسين نكرأ كان أم أنثى. فقد تبين أن هذه الفروق تعزى في المقام الأول إلى عاملين: أولهما: العامل البيولوجي، وثانيهما: العامل النفسي.

أولاً: العامل البيولوجي:

تحدث الفروق بين الذكور والإناث بسبب طبيعة الهرمونات التي تفرز في دم كل منهما؛ فقد تبين أن هرمون التستوسترون Testosterone هو الهرمون المسؤول عن الذكورة. في حين أن هرمون الإستروجين Oestrogen هو الهرمون المسؤول عن الأنوثة. ويصاحب إفراز كل هرمون في الدم في كل من الذكور والإناث بعض المظاهر الجنسية الثانوية. غير أنه لا يعرف كائن مطلق للذكورة أو الأنوثة. إذ إن كل كائن يحوي النوعين من الهرمونات، وإن كانت نسبة إحدهما إلى الأخرى تختلف، ويتراوح تدريجياً بين الذكورة المطلقة والأنوثة الكاملة، وهما نهايتان نظريتان فصص. ولذا فإن بعض الرجال أشد ذكورة من غيرهم، أو أضعفها، وبعض النساء أكثر أنوثة من غيرهن أو أقلها، وبينهم تسلسل من الدرجات الوسيطة التي لا نهاية لها. وهذا هو السبب في تخت بعض الرجال وترجل بعض النساء. وإذا تضمنت مظاهر للرجولة: كنمو الأعضاء الجنسية للخارجية، وظهور شعر الوجه والجذع، وتضخم العضلات، وروح النضال والمنافسة. كما يسبب عدم إفراز الإستروجين عند النساء غياب مظاهر الأنوثة: ككبر الثديين، واستدارة الجسم، وغزارة شعر العانة، وتشحم الإليتين (Hutt, 1972).

ويتحدد نوع الجنين نكرأ كان أم أنثى عند تلقيح البويضة بعدد الكروموسومات التي تضمها، ولا يمكن تغييره بأية طريقة، ثم ينمو كل من النوعين الذكر أو الأنثى، نمواً متشابهاً كل التشابه، إلى أن تظهر الخصية في الجنين الذكر وتبدأ في صنع التستوسترون. وعندئذ، وتحت تأثير هذا الهرمون تتحول الأعضاء التناسلية للخارجية إلى شكلها المميز. كما يظهر المبيض في الجنين الأنثى ويبدأ في إفراز الإستروجين الذي يصنع عليها ملامح الأنوثة.

ثانياً: العامل النفسي:

يوجد مفهومان من المفاهيم النفسية اللذان يكونان بمثابة للقاعدة الأساسية لدراسة تطور دور الجنس: أولهما: للتمييز الجنسي، وثانيهما: للتوحد مع دور الجنس.

(١) التمييز الجنسي: ويقصد بالتمييز الجنسي لكتساب السلوك سواء المرتبط بالأنوار الجنسية للذكورة أو بالأنوار الجنسية للأنوثة عند مراحل عمرية مختلفة أثناء فترة النمو. والتمييز الجنسي ما هو إلا عملية يكتسب الأفراد من خلالها القيم ويتبنون الأنماط الثقافية للسلوك المنمط جنسياً (Mischel, 1970) كما يقصد بالتمييز الجنسي مجموعة من المعتقدات والاتجاهات وأوجه النشاط التي تحكم الحضارة التي ينشأ فيها الطفل بأنها مناسبة للجنس الذي ينتمي إليه. ذلك أن غالبية أعضاء المنية الغربية يشتركون في اعتقاد عام مؤداه أنه لا بد وأن يختلف الذكور عن الإناث في السلوك. على أن هذه المعتقدات المتصلة بأوجه الخلاف قد تكون ضمنية وغير شعورية في بعض الحالات، كما أنها قد تكون صريحة يشجع عليها بصفة شعورية واعية. ومعظم اللادين يثيرون السلوك الذي يرونه مناسباً لجنس طفلهم ويعاقبون الاستجابات التي يرونها غير مناسبة. ومن شأن هذه الاتجاهات المنمطة جنسياً أنها قد تنتقل من جيل إلى جيل يليه شيء قليل من التغير في المحتوى. كما توجد عدة دوافع تؤدي إلى نصصاع الطفل لأنواع السلوك المنمطة جنسياً وهي:

(١) الرغبة في المدح، والعودة والتقبل من جانب الأبوين والأقران ورضاهم عن أنواع السلوك المنمطة جنسياً.

(٢) الخوف من العقاب أو الفقد بسبب السلوك غير المناسب.

(٢) التوحد مع الأب من نفس الجنس، أو مع بديل الأب، أو مع ذات مثالية متخيلة.

(سلامة وجابر، ١٩٧٠: ٢٣٢-٢٣٤)

وبالإضافة إلى ذلك، يظهر معظم الأفراد الملوك لجنسي المناسب الذي يوجه نحو نظرائهم من الجنس الآخر، وهذا إنما يعكس مظهراً من مظاهر التمييز الجنسي (Mussen, 1968). ويتم تعلم النور الجنسي منذ الطفولة، حيث يتم التمييز بالسيطرة والعدوان والاستقلال والتنافس والنشاط في حين تتسم الإناث بالسلبيّة والخضوع والاعتماد وعدم التنافس والطاعة، ويشير موني وإيرهارت Money and Ehrhardt (١٩٧٢) إلى أنه إذا عمل الولد كإناث حتى من الرابعة فإنه لا ينمي مفهوماً سليماً وتطابقاً صحيحاً مع نفس جنسه.

(٢) التوحد: من الصعوبة بمكان تعريف هذا المفهوم لأنه ربما يتغير عبر السنوات وفقاً لتبديلات نظريات الشخصية (Mischel, 1970) ويمكن اعتبار التوحد نوعاً من أنواع الملوك. فإذا قلنا: إن شخصاً ما يتوحد مع شخص آخر، فإن هذا يعني أن هذا الشخص يملك مثلاً يملك للشخص الآخر في عديد من التصرفات مثل عادات اللغة، وتوجه القيم، والميول وأسلوب التفكير. ومع ذلك، فإن التوحد لا يمكن تعريفه بسهولة من خلال التماثل أو التشابه السلوكي. وبعبارة أخرى، فإنه ربما يوجد شخص ما يرغب في أن يحكي شخصاً آخر، وعندما تحدث هذه المحاكاة تنمو رابطة فعلية قوية مع هذا الشخص. لذا، فإنه يمكن تعريف التوحد على أنه عبارة عن علاقة عاطفية قوية ومجموعة من العمليات أو الميكنيزات تحول الأطفال محليتها (Hurlock, 1972). ويبدو أن مصطلح التوحد مترادف مع مفهوم التمييز الجنسي.

ويشير مفهوم التوحد إلى العملية التي تجعل الطفل يفكر ويشعر ويمسك وكأن خصائص شخص آخر أو جماعة أخرى من الناس خصائصه (Kagan, 1965) إلا أن عملية التوحد قد تكون عملية لا شعورية إلى حد كبير أي أن الطفل قد يتوحد مع نموذج ما من غير أن يكون على وعي بذلك فالتوحد ليس عملية تبدأ بالولادة الفرد. كما تلعب الضغوط الاجتماعية دوراً كبيراً في عملية التوحد، ومثل ذلك أن معظم الذكور يميلون إلى التوحد مع آبائهم، في حين تميل الإناث إلى التوحد مع أمهاتهن.

ويعزو هذا إلى أن البيئة الاجتماعية تشجع الطفل على أن يطبع نفسه على نسق الأب المتمثل له في الجنس، وتماثله على التوحد مع سمات الأب المخالف له في الجنس. أي أن الذكر يواجه ضغطاً يضطره إلى تقليد الأب وهو كلما زاد في تقليد الأب، ازدادت قوة عملية التوحد عنده. ومن ناحية أخرى، يترك الطفل قدراً كبيراً من التشابه بينه وبين الوالد المماثل له في الجنس، وهذا من شأنه يؤدي إلى تقوية عملية التوحد مع الوالد المتمثل (سلامة وجابر، ١٩٧٠: ٢٤١-٢٤٢). كما ينبغي الإشارة إلى أن الآباء ليسوا يمثلون وحدهم النماذج التي يتوحد معها الأطفال. إذ قد يتم التوحد مع الكبار الذين ينظر إليهم على أنهم أقوى وأكثر كفاءة من الطفل. والإناث اللاتي لهن إخوة ذكور أكبر منهن يميلن إلى "الاسترجال". على حين أن الذكور الذين لهم أخوات أكبر منهم يكون عندهم قدراً كبيراً من الخصائص الأنثوية (Koch, 1956). أي أن الأنثى ذات الأخ الأكبر تكون أكثر ميلاً إلى العدوان والمثابرة والصم في المشكلات من الأنثى ذات الأخت الكبرى أو الأخت الصغرى، كما أن الذكور ذوي الأخوات الأكبر يكونون أقل ميلاً إلى العدوان من الذكور ذوي الإخوة الأكبر.

ومع ذلك، يعتبر الوالدان أول موضوعات التوحد بالنسبة للطفل، نظراً لما يمثلانه - في نظره - من سلطة ومعايير وحب وكل ما يمس حياته في هذه المرحلة المبكرة من عمره. إلا أن موضوعات التوحد تتغير وتتسع بنمو الطفل واتساع نطاق إدراكه واهتمامه، حيث تصبح لكل مرحلة عمرية - تقريباً - نماذج تصيلية من الموضوعات التي يجذب نحوها وفق ما يترأى له أنها تتفق مع أهدافه ورغباته النفسية. وقد تكون هذه الموضوعات شخصيات حقيقية أو خيالية، أفكاراً أو مثاليات أو عقائد، وقد يتوحد الطفل مع كل أو بعض الخصائص والسمات التي تميز

هذه الموضوعات حسياً يجد فيها من مغريات يرى أنها تساعده على بلوغ هدفه وهو خفض التوتر، فإذا تحقق له ذلك استمتعت لصفة أو لصفة المطلوبة وإلا أصبح للتوحد غير ذي موضوع. وهكذا لا تخطر هذه العملية من بعض المحولة والخطأ ويكون البناء النهائي للشخصية عبارة عن مجموع ما تم من توحيدات في فترات زمنية متباعدة من حياة الطفل (علي، ١٩٨٨: ١١٠).

وبالإضافة إلى ذلك، توجد ثلاث نظريات رئيسية تناولت مفهومي التسميط الجنسي والتوحد، وهذه النظريات هي نظرية التحليل النفسي، والنظرية المعرفية، ونظرية التعلم الاجتماعي.

(أ) نظرية التحليل النفسي:

ترى نظرية التحليل النفسي أن التوحد مع الجنس الملائم يحدث كنتيجة لحل الموقف الأوديبي. ففي المرحلة الأولى يميل الطفل بحبه إلى الوالد من الجنس الآخر ولكنه على مستوى ضعيف من الوعي ويتمنى موت نفسه وهو الوالد من نفس الجنس.

وفي وقت ما يبدأ الطفل في التفكير قائلاً لنفسه: إذا كان هذا هو إيلسلي نحوه وتمنيت موته فربما يكون هو الآخر يشعر نفس المشاعر نحوي. كما أنه أضخم ويمكنه أن يحول مشاعره إلى فعل. فيبدأ الطفل في الخوف من الوالد من نفس الجنس. وكنتيجة لهذا الخوف يتخلى عن الوالد من الجنس الآخر كموضوع للحب ويتوحد مع الوالد من نفس الجنس. وعند التوحد مع الوالد من نفس الجنس يطبق الطفل أيضاً مع المجتمع ككل وينمي ذاته العليا فيصبح متقبلاً لقوانين المجتمع على أنها صحيحة وعادلة ويحاول إقباها ويشعر بالذنب عندما يعتدي عليها (عبد السلام، ١٩٨٣: ٤٥٩-٤٦٠). كما تشير نظرية التحليل النفسي (Freud, 1949) إلى أن عملية التوحد من أصعب العمليات لنمو الشخصية الكلية. ويمكن تبسيط عملية التوحد بأنها تبدأ بميل قوي لكل من الذكور أو الإناث وعلاقة حب وطيدة مع الأم ويتم هذا في مرحلة الطفولة، ويطلق على هذه العملية التوحد الانكالي *Anaclitic identification*، وهي تعتبر بمثابة العملية الرئيسية للإثبات.

أما الذكر فإنه يبحث عن طريقة ما حتى يمكن من خلالها أن يستأثر بالأم وتصل مطالب الذكر لحب وشد انتباه الأم واهتمامها خاصة في سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية، كما تعثره بعض المشاعر العدائية والتنافسية تجاه الأب حتى يستأثر بالأم، ولكن الطفل يدرك أن الأب قوي ويمتلك قوة والقدرة لكسي يتجاهل منافسة للصغير، فيؤدي هذا إلى استجابة خوف عامة، ويبدأ هذا الخوف خاصة عندما كان عمر الطفل خمس أو ست سنوات، وهذا هو العمر الذي يتكون فيه للقاعدة الأساسية لتوحد الفكر الدفاعي مع الأب. ويضع هذا التوحد حداً لنهاية الخوف والتنافس العدائي مع الأب، وهذه العملية يمكن وصفها بالعبارة التالية: إذا لم تستطع أن تتفوق عليه، انضم إليه، لأن القلق أو الخوف يكون رد فعل لهذا التنافس المستحيل مع الأب. كما لا يقتصر أهمية مفهوم التوحد على توضيح ديناميات النمو النفسي وتكوين الشخصية عند فرويد، بل يكاد أن يكون من المفاهيم الأساسية في أي نظرية للنمو. فهو في معناه قريب من مفهوم المحاكاة أو التقليد، لكن فرويد لا يقصد به مجرد التقليد العارض أو السطحي، فهو يشير إلى ما يعتري الشخصية من تغيرات نتيجة استمجاها بخصائص وسمات شخص آخر، مع ثبات هذه التغيرات الجديدة واستمرارها على نحو تصبح فيه الشخصية بعد التوحد غير ما كانت عليه قبله. وهكذا ينظر للتوحد كوسيلة لاكتساب أو تعلم خصائص جديدة بما في ذلك أساليب إشباع الحاجات وخفض التوترات والتعامل مع الذات والعالم الخارجي على حد سواء. وترجع خطورته إلى أنه يحدث غالباً في مرحلة مبكرة من الطفولة وعلى مستوى لا شعوري.

(ب) النظرية المعرفية:

لقد تسعت أفكار بياجيه عن النمو العقلي المعرفي حتى تقدم تفسيراً شاملاً لتطور دور الجنس. والمسلمة

الأساسية في هذه النظرية هي أن التمييز الاجتماعي هو الذي يحدد دور الذكر أو دور الأنثى للأفراد في كل ثقافة من الثقافات الإنسانية (Kagan, 1964) وتزود هذه التمييزات الاجتماعية بمجموعة من الرموز. ويبدأ التمييز الجنسي عندما يلقب الطفل بذكر أو أنثى.

ويرتبط هذا اللقب بمجموعة من التفاعلات الموجبة داخل المنزل (Kohlberg, 1966). وتخدم هوية النوع أو مفهوم الذات المرتبط بالنوع فيما بعد كمحدد للاتجاهات الاجتماعية والقيم. وتتأثر القيم المرتبطة بالذكورة أو الأنوثة من الحاجة إلى استيعاب الأشياء التي تكون متسقة مع هوية الجنس.

(ج) نظرية التعلم الاجتماعي:

وهذا لنظرية التعلم الاجتماعي، فإن الطفل عند مرلح عمرية مبكرة يتعلم نوعه، أي أن الولد يتعلم بأنه ولد، والبنت تتعلم بأنها بنت، وما هو المتوقع من كل منهما. ويتأثر هذا التعلم بالتقليد والتعزيز المباشر، والتعزيز الترميضي، والمعرفة الاجتماعية. ويعتبر الآباء أو القتمون على تربية الأطفال بمثابة النماذج الرئيسية ووكالات التعزيز المباشر للسلوكيات المنمطة جنسياً.

فجد أن الوالدين يشجعان في الذكور سلوكيات الميطرة، والتوكينية، والاستقلال المعرفي، والنشاطية. في حين يشجع في الإناث سلوكيات اللطف، والحساسية، والمطف، والمساعدة والتأييد، والتعاون. وعلى الجانب الآخر، نجد بعض الأطفال يسلكون سلوكيات ذكرية وأنثوية، وهذا نتيجة لتعزيز الوالدين مثل هذه السلوكيات، فيكون الناتج لهذه السلوكيات، الخضوئية النفسية (Kelley and Worrell, 1976). ويرى كاجان (Kagan 1965) أن عملية التوحد نوع من أنواع التعلم يشبه الأنواع الأخرى من التعلم وأنها عرضة لكميات التعزيز الإيجابي أو السلبي، كما أن للتأثير النسبي للتعزيزات التي يقوم بها كل من الوالدين هو الذي يحدد مدى ملائمة توحيد الطفل مع دور الجنس.

ومما لا شك فيه، أن عمليات للتطبيع الاجتماعي والأنماط الثقافية المختلفة تلعب دوراً كبيراً في عمليات التمييز والتوحد الجنسي.

المقاييس: تعددت المقاييس للبيكمترية لقياس الذكورة - الأنوثة؛ مثل ما يلي: مقياس الأنوثة المشتق من مقياس كليفوردنيا النفسي من إعداد جف (هنا وهناك، 1972)، ومقياس الذكورة - الأنوثة المشتق من مقياس الشخصية الممتد الأوجه من إعداد هاتواي ومكللي (هنا وآخرون، 1978). ويقوم تصميم هذه المقاييس في معظم الحالات على أسس التمايز والاختلاف بين الذكور والإناث في كل من الميول والسلوكيات (موسى وأبو ناهية، 1986). وإلى جانب هذا، قام إيزنك وويلسن (Eysenck and Wilson 1975: 91-105) بإعداد مقياس فرعي لقياس الذكورة - الأنوثة. ويركز هذا المقياس مباشرة على العبارات التي تميز بين الذكور والإناث إبيريقاً. ويشير في موضع آخر (P: 112) إلى أن الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس بأنهم لا يخافون من الحشرات الزاحفة، ورؤية الدم، ويسمون بالعنف والقوة، والصرامة والجزم، ولا يميلون إلى إظهار الضعف أو أي نوع من أنواع العواطف مثل البكاء أو التعبير عن الحب، ويعتمدون على الاستدلال وليس على الحس في الحكم على الأشياء، بينما الأفراد الذين يحصلون على درجات منخفضة على هذا المقياس فيهم ينزعجون من رؤية الدم والعنف، ولديهم اهتمامات كبيرة بشأن الموضوعات الرقيقة مثل: الرومانسية، وحب الأطفال، والفنون والآداب، وحب الزهور والملابس. ويتكون المقياس من ثلاثين عبارة، وتتراوح الاستجابة على كل عبارة بنعم أو لا. وتشير للدرجة المرتفعة إلى الذكورة، بينما تشير للدرجة المنخفضة إلى الأنوثة وتم تعريب المقياس إلى اللغة العربية (موسى، 1994).

الصدق: من أجل حساب الصدق للتلازمي لمقياس الذكورة - الأنوثة من إعداد إيزنك وويلسن

Eysenck and Wilson (١٩٧٥)؛ قام موسى (١٩٩٤) بتطبيقه مع مقياس للذكورة - الأنوثة المشتق من اختبار شخصية لمتعدد الأوجه (هنا وآخرون، ١٩٧٨) على سبعين طالباً؛ حيث تراوح متوسط أعمارهم ٢٢,٥١ سنة؛ والانحراف المعياري $\pm ٢,٩٩$ ، وعلى سبعين طالبة؛ حيث تراوح المتوسط الحسابي لأعمارهن ٢٢,٨٧ سنة، والانحراف المعياري $\pm ٢,٥٧$. ولقد كان معامل الارتباط بين المقياسين كما يلي: ٠,٨٢، و ٠,٧٩ لعينتي فنكور والإناث؛ على الترتيب، وهي معاملات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١.

الشبكات: تم حساب ثبات مقياس للذكورة - الأنوثة باستخدام أسلوب إعادة للتطبيق، وذلك من خلال تطبيقه على عينة الصدق المذكورة سلفاً، بفواصل زمنية بين التطبيقين قدره أسبوعين. وقد بلغت معاملات الارتباط بين الإجراءين ٢,٨٥، و ٠,٨٢ لعينتي فنكور والإناث على التوالي (موسى، ١٩٩٤).



مقياس المذكورة - المئوية

مفتاح التصحيح	لا	نعم	العبارة
نعم	()	()	١- هل تميل إلى المشاركة في الأنشطة العنيفة؟
لا	()	()	٢- في المدرسة، هل فضلت الألب الإنجليزي على العلوم النعمة؟
لا	()	()	٣- هل تستمتع بقراءة القصص الرومانسية؟
لا	()	()	٤- هل أنت حساس جداً لأي مظهر للجمال في البيئة المحيطة؟
لا	()	()	٥- هل تستمتع بالشراء من المحلات؟
لا	()	()	٦- هل تشعر بميل إلى البكاء إذا ما شاهدت فيلماً حزيناً؟
لا	()	()	٧- هل تخاف من الأشياء الزلحقة مثل الديدان والعنكب؟
نعم	()	()	٨- هل قوانين الطبيعة تثير انتباهك أكثر من العلاقات الشخصية؟
نعم	()	()	٩- هل لديك أحياناً تخیيلات سادية (مثل التلذذ بعذاب الآخرين)؟
لا	()	()	١٠- هل تحب الذهاب إلى أماكن الرقص؟
لا	()	()	١١- هل تحب مشاهدة العنف والتعذيب في الأفلام؟
لا	()	()	١٢- هل رؤية كمية كبيرة من الدم تجعلك تشعر بالإغواء؟
لا	()	()	١٣- هل تصابيك الدعابات للشحنة وغير المهنية؟
لا	()	()	١٤- هل تعتمد على الجنس كليل على أن الشخص ثقة أم لا؟
لا	()	()	١٥- هل تنهار وتبكي أحياناً؟
نعم	()	()	١٦- هل تستمتع بمشاهدة الألعاب البنائية التنافسية مثل لملكمة - كرة القدم؟
لا	()	()	١٧- هل تخاف إلى حد ما من الظلام؟
نعم	()	()	١٨- هل تهتم كثيراً بالقصص العلمية؟
لا	()	()	١٩- هل تجد من الصعوبة أن تقاوم حمل وتليل حيوانات صغيرة ذات فراء؟
لا	()	()	٢٠- هل كثيراً ما يخطر لك أن تقع في الحب؟
لا	()	()	٢١- هل تفزع بسهولة عندما يظهر لك شخص ما فجأة دون أن تتوقع ذلك؟
نعم	()	()	٢٢- هل تفكر في الاشتراك في لهو معربد؟
لا	()	()	٢٣- هل تستمتع بالغناء مع جماعة من المنشدين (خاصة لغناء ديني)؟
			٢٤- هل لديك حب الاستطلاع لمعرفة كيفية عمل الآلات والاختراعات
نعم	()	()	الميكانيكية الأخرى؟
نعم	()	()	٢٥- هل تحب قصص الحرب؟
لا	()	()	٢٦- هل تستمتع بتلوين صور الأطفال؟
لا	()	()	٢٧- هل تشعر بالشفقة تجاه طائر مكسور الجناحين؟
نعم	()	()	٢٨- هل تفضل أن تكون طبيباً للأسنان على أن تكون مصمماً للأزياء؟
لا	()	()	٢٩- هل للعاينين تشير اسمتراك؟
نعم	()	()	٣٠- عندما كنت طفلاً، هل كنت تستمتع باللعب بالبنائق؟